ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وثلثمائة

ذكر عزل ابن سيمجور عن خراسان

في هذه السنة عزل أبو الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور عن قيادة جيوش خراسان، واستعمل عوضه حسام الدولة أبو العباس تاش، وكان سبب ذلك: أن الأمير نوح بن منصور لما ملك خراسان وما وراء النهر ـ وهو صبي ـ استوزر أبا الحسين العتبي، فقام في حفظ الدولة القيام المرضي، وكان محمد بن سيمجور قد استوطن خراسان، وطالت أيامه فيها، فلا يطيع إلا فيما يريد، فعزله أبو الحسين العتبي عنها، واستعمل مكانه حسام الدولة/ أبا العباس تاش، وسيّره من بخارى إلى نيسابور في هذه السنة، فاستقرّ بها ودبر خراسان، ونظر في أمورها وأطاعه جندها[1].

ج٧/١٠٧/ط

ذكر استيلاء عضد الدولة على جرجان

في هذه السنة، في جمادى الآخرة، استولى عضد الدولة على بلاد جرجان وطبرستان، وأجلى عنها صاحبها قابوس بن وشمكير، وسبب ذلك: أن عضد الدولة لما استولى على بلاد أخيه فخر الدولة، انهزم فخر الدولة فلحق بقابوس كما ذكرناه، وبلغ ذلك عضد الدولة، فأرسل إلى قابوس يبذل له الرغائب من البلاد، والأموال، والعهود، وغير ذلك، ليسلم إليه أخاه فخر الدولة، فامتنع قابوس من ذلك، ولم يجب إليه، فجهز عضد الدولة أخاه مؤيد الدولة وسيّره ومعه العساكر والأموال والعدد إلى جرجان، وبلغ الخبر قابوساً، فسار إليه فلقيه بنواحي أستراباذ، فاقتتلوا من بكرة إلى الظهر، فانهزم قابوس وأصحابه في جمادى الأولى، وقصد قابوس بعض قلاعه التي فيها ذخائره وأمواله، فأخذ ما أراد وسار نحو نيسابور، فلما وردها، لحق به فخر الدولة، وانضم إليهما من تفرق من أصحابهما.

---

(١) ذكره ابن خلدون في «تاريخه» (٤/ ٤٢٣).

وكان وصولهم إليها عند ولاية حسام الدولة أبي العباس تاش خراسان، فكتب حسام الدولة إلى الأمير أبي القاسم نوح بن منصور، يعرفه خبر وصولهما، وكتبا أيضاً إلى نوح يعرفانه حالهما، ويستنصرانه على مؤيد الدولة، فوردت كتب نوح على حسام الدولة يأمره بإجلال محلهما وإكرامهما، وجمع العساكر والمسير معهما، وإعادتهما إلى ملكهما، وكتب وزيره أبو الحسين بذلك أيضاً[1].

ذكر مسير حسام الدولة وقابوس إلى جرجان

فلما وردت الكتب من الأمير نوح على حسام الدولة بالمسير بعساكر خراسان جميعها مع فخر الدولة وقابوس، جمع العساكر وحشد، فاجتمع بنيسابور عساكر سدّت الفضاء، وساروا نحو جرجان فنازلوها وحصروها، وبها مؤيد الدولة ومعه من عساكره وعساكر أخيه عضد الدولة جمع كثير؛ إلا أنهم لا يقاربون عساكر خراسان، فحصرهم حسام الدولة شهرين، يغاديهم القتال ويراوحهم، وضاقت الميرة على أهل جرجان، حتى كانوا يأكلون نخالة الشعير معجونة بالطين، فلما اشتدّ عليهم الأمر، خرجوا من جرجان في شهر رمضان على عزم صدق القتال، إما لهم وإما عليهم، فلما رآهم أهل خراسان، ظنوها كما تقدم من الدفعات، يكون قتال ثم تحاجز، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فرأوا الأمر خلاف ما ظنوه، وكان مؤيد الدولة قد كاتب بعض قوّاد خراسان، يسمى: فائق الخاصة، وأطمعه ورغّبه، فأجابه إلى الانهزام عند اللقاء، وسيرد من أخبار فائق هذا ما يعرف به محله من الدولة، فلما خرج مؤيد الدولة هذا اليوم، حمل عسكره على فائق وأصحابه، فانهزم هو ومن معه وتبعه الناس، وثبت فخر الدولة وحسام الدولة في القلب، واشتد القتال إلى آخر النهار، فلما رأوا تلاحق الناس في الهزيمة لحقوا بهم، وغنم أصحاب مؤيد الدولة منهم ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وأخذوا من الأقوات شيئاً كثيراً/ . ج٧ / ١٠٨/ط

وعاد حسام الدولة وفخر الدولة وقابوس إلى نيسابور، وكتبوا إلى بخارى بالخبر، فأتاهم الجواب يمنيهم ويعدهم بإنفاذ العساكر والعود إلى جرجان والرّي، وأمر الأمير نوح سائر العساكر بالمسير إلى نيسابور، فأتوها من كل حدب ينسلون، فاجتمع بظاهر نيسابور من العساكر أكثر من المرة الأولى، وحسام الدولة ينتظر تلاحق الأمداد ليسير بهم، فأتاهم

(١) ذكره ابن الوردي في «تتمة المختصر في أخبار البشر» (١/ ٤٥٧)، وذكره أيضاً في «تاريخه» (١/ ٢٩٤)، وذكره الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٢٢).

obeikandi.com

الخبر بقتل الوزير أبي الحسين العتبي، فتفرق ذلك الجمع وبطل ذلك التدبير، وكان سبب قتله: أن أبا الحسن بن سيمجور وضع جماعة من المماليك على قتله، فوثبوا به فقتلوه، فلما قتل كتب الرضيُّ نوح بن منصور إلى حسام الدولة يستدعيه إلى بخارى ليدبر دولته، ويجمع ما انتشر منها بقتل أبي الحسين، فسار عن نيسابور إليها، وقتل من ظفر به من قتلة أبي الحسين، وكان قتله سنة اثنتين وسبعين[1].

ذكر قتل الأمير أبي القاسم أمير صقلية وهزيمة الفرنج

في هذه السنة في ذي القعدة، سار الأمير أبو القاسم أمير صقلية من المدينة يريد الجهاد، وسبب ذلك: أن ملكاً من ملوك الفرنج يقال له: بردويل، خرج في جموع كثيرة من الفرنج إلى صقلية، فحصر قلعة مالطة وملكها، وأصاب سريتين للمسلمين، فسار الأمير أبو القاسم بعساكره ليرحله عن القلعة، فلما قاربها، خاف وجبن، فجمع وجوه أصحابه وقال لهم: إني راجع من مكاني هذا، فلا تكسروا عليّ رأيي. فرجع هو وعساكره، وكان أسطول الكفار يساير المسلمين في البحر، فلما رأوا المسلمين راجعين، أرسلوا إلى بردويل ملك الروم يعلمونه ويقولون له: إن المسلمين خائفون منك، فألحق بهم فإنك تظفر.

فجرد الفرنجي عسكره من أثقالهم، وسار جريدة وجدّ في السير، فأدركهم في العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين، فتعبى المسلمون للقتال، واقتتلوا واشتدت الحرب بينهم، فحمل طائفة من الفرنج على القلب والأعلام، فشقوا العسكر ووصلوا إليها وقد تفرق كثير من المسلمين عن أميرهم واختل نظامهم، فوصل الفرنج إليه، فأصابته ضربة على أم رأسه، فقتل وقتل معه جماعة من أعيان الناس وشجعانهم.

ثم إن المنهزمين من المسلمين رجعوا مصمّمين على القتال ليظفروا أو يموتوا، واشتد حينئذٍ الأمر، وعظم الخطب على الطائفتين، فانهزم الفرنج أقبح هزيمة، وقتل منهم نحو أربعة آلاف قتيل، وأسر من بطارقتهم كثير، وتبعوهم إلى أن أدركهم الليل وغنموا من أموالهم كثيراً، وأفلت ملك الفرنج هارباً ومعه رجل يهودي كان خصيصاً به، فوقف فرس الملك، فقال له اليهودي: اركب فرسي، فإن قتلت فأنت لولدي، فركبه الملك وقتل اليهودي، فنجا الملك إلى خيامه وبها زوجته وأصحابه، فأخذهم وعاد إلى رومية.

---

(١) ذكره النويري في «نهاية الأرب» (٢٥/ ٣٦٠).

ولما قتل الأمير أبو القاسم كان معه ابنه جابر، فقام مقام أبيه ورحل بالمسلمين لوقتهم، ولم يمكنهم من إتمام الغنيمة، فتركوا كثيراً منها، وسأله أصحابه أن يقيم إلى أن يجمع السلاح وغيره ويعمر به الخزائن، فلم يفعل، وكانت ولاية أبي القاسم على صقلية اثنتي عشرة سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام، وكان عادلاً حسن السيرة، كثير الشفقة على رعيته والإحسان إليهم، عظيم الصدقة، ولم يخلف ديناراً ولا درهماً ولا عقاراً، فإنه كان قد وقف جميع أملاكه على الفقراء وأبواب البر.

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة وقع حريق بالكرخ ببغداد، فاحترق فيها مواضع كثيرة هلك فيها خلق كثير من الناس، وبقي الحريق أسبوعاً[١].

وفيها قبض عضد الدولة على القاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي وألزمه منزله، وعزله عن/ أعماله التي كان يتولاها، وكان حنفي المذهب، شديد التعصّب على الشافعي، يطلق لسانه فيه، قاتله الله[٢]. ج٧/١٠٩/ط

وفيها أفرج عضد الدولة عن أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي الكاتب، وكان القبض عليه سنة سبع وستين[٣].

وكان سبب قبضه: أنه كان يكتب عن بختيار كتباً في معنى الخلف الواقع بينه وبين عضد الدولة، فكان ينصح صاحبه، فمما كتبه عن الخليفة الطائع إلى عضد الدولة في المعنى: وقد لقب عز الدولة بشاهنشاه، فتزحزح له عن سنن المساواة، فنقم عليه عضد الدولة ذلك، وهذا من أعجب الأشياء، فإنه كان ينبغي أن يعظم في عينه لنصحه لصاحبه، فلما أطلقه، أمره بعمل كتاب يتضمن أخبارهم ومحاسنها، فعمل التاجي في دولة الديلم.

وفيها أرسل عضد الدولة القاضي أبا بكر/ محمد بن الطيب الأشعري، المعروف: بابن الباقلاني، إلى ملك الروم في جواب رسالة وردت منه، فلما وصل إلى الملك قيل له: ليقبّل الأرض بين يديه. فلم يفعل فقيل: لا سبيل إلى الدخول إلا مع تقبيل الأرض. فأصر على الامتناع، فعمل الملك باباً صغيراً يدخل منه القاضي منحنياً ليوهم الحاضرين أنه ج٧/١١٠/ط

(١) ذكره ابن الجوزي في «المنتظم» (١٤/ ٢٨١).
(٢) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٢٢).
(٣) ذكره أبو الفداء في «المختصر في أخبار البشر» (٢/ ١٢٢).

قبّل الأرض، فلما رأى القاضي الباب علم ذلك، فاستدبره ودخل منه، فلما جازه، استقبل الملك وهو قائم، فعظم عندهم محله.

وفيها فتح المارستان العضدي غربي بغداد، ونقل إليه جميع ما يحتاج إليه من الأدوية.

الوفيات

وفي هذه السنة، توفي الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي الجرجاني، الفقيه الشافعي، وكان عالماً بالحديث وغيره من العلوم.

والإمام محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد أبو زيد المروزي، الفقيه الشافعي، الزاهد، يروي صحيح البخاري عن الفربري، وتوفي في رجب.

وأبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي ـ شيخ الصوفية في وقته ـ صحب الجريري وابن عطاء وغيرهما.

وفيها توفي أبو الحسن علي بن إبراهيم، الصوفي، المعروف: بالحصري[1]/ . ج٧/١١١/ط

(١) ذكره ابن الوردي في «تاريخه» (١/ ٢٩٥).